جامعة بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والادب العربي

محاضرات في مقياس: لسانيات النص.

السنة الثالثة تخصص: لغة المجموعة الأولى.

اعداد الأستاذ: خيار نورالدين.

المحاضرة الثانية: الطابع العلمي والشمولي للأسلوبية.

أولا: علمية الأسلوبية:

الأسلوبية محاولة منهجية تركز على فهم النص من خلال لفتها لإدراك علاقاته الداخلية، وللكشف عن قيمة بنيته الفنية التي يتجلى فيها تحول الحقائق اللغوية إلى قيم جمالية، وهي تنحو منحنى علميا من حيث أن معطيات موضوعها تتمحور حول مادة مجردة هي اللغة.

فمفهوما التجريد والتنظيم التقني هذان اللذان يميزان العلم، نلمسهما إذا تأملنا العلاقات الأسلوبية جيدا، فهي تقوم على أساس دراسة الأسلوب أو دراسة الإبداع الفردي، وتصنيف الظواهر الناجمة، وتتبع الملامح المنبثقة، حتى إذا بلغت عملية التصنيف درجة محددة في التجريد الذي يسمحُ برصد أشكال التعبير وقوانينه العامة المستخلصة من البحوث التجريبية المتوافقة أو المتخالفة مع ما استقرّ في الوعي النقدي من معطيات، بدأت تتحسس الاتساق والانتظام المعرفي والتقني فيها.

فهي تتعامل مع الخطاب قبل ولادته (باستخدام خلاصات دراستها للخطاب) وبعدها، فوجودها سابق لوجود الأثر الأدبي وتالٍ عليه، وهي لا تنطلق في بحثها من قوانين سابقة، أو افتراضات جاهزة، إذ لا تستند في حكمها إلى معايير، ومقاييس معينة في صورة مسلّمات... الأسلوبية هي علم يدرس المتغيرات اللسانية إزاء المعيار القاعدي.

فالأسلوبية وإن تحركت في مجال اكتشاف الخصائص الفردية المكونة للنص فهي تسعى إلى اكتشاف قوانين النص الذي تتعامل معه، وهي قوانين وإن كانت تصور استخدامات فردية إلا أنها مستمدة من نظام عامّ تنظمه قوانين عامة. فالاستخدامات الفردية تتبع في سيرها تلك القوانين العامة المكتشفة أصلا. وإنّا إذ نظرنا إلى الأسلوبية وجدنا أنها تسعى في أحد ميادينها، وهو (علم الأسلوب العام) إلى تقديم قوانين عامة للاستخدام اللغوي، وهو في مثل تقديمه لمثل هذه القوانين إنما ينطلق من حالات فردية تتجلى فيها سُبل الاستخدام الخاص للغة.

وعن علمية الأسلوبية يرى **المسدي** أن التفاعل مع العقلنة التدريجية التي شهدتها العلوم الألسنية عامة والتفاعل مع مناهج البحث المعاصر المستمدة من الإلهام العلماني قد أكسب الأسلوبية مشروعية العلم.

إذن علمية الأسلوبية قد جاءت بسبب تطور نظرية المعرفة في الفلسفة المعاصرة، وميل ونزوع العلوم اللسانية إلى العقلنة والعلمانية.

ويذهب المذهب نفسه **سعد مصلوح** إذ يميل إلى اعتبار الأسلوبية علما، بل ويتفرع عنده إلى علوم، مثل علم الأسلوب التأثيري، وعلم الأسلوب الموضوعي.

ويشير **صلاح فضل** في كتابيه (علم الأسلوب) و (بلاغة الخطاب وعلم النص) إلى علمية الأسلوبية أيضا، ويضاف إلى ذلك أن المنظر الأول للأسلوبية **"بالي"** يراها علما قائما بذاته.

ويضع الأسلوبية في الزاوية ذاتها من **"ماروزو وكراسو"** حيث نادى كل منهما بشرعية الأسلوبية، و عدّاها علمًا له مقوماته وأدواته الإجرائية وموضوعه، و دَعَم هذا الرأي **جاكبسون وميشال ريفاتير وستيفن أولمان وباختين وهنريش بليث وسواهم**، من مثل **عبد القادر المهيري وستاروبنسكي و عبده الراجحي وبرند شبلنر وفريد هوسن هولن وأحمد درويش وعدنان بن ذريل وشكري عياد وبيير جيرو ومنذر عياشي ومازن الوعر ورنيه ويلك و أستن وارين ومحمد عبد المطلب**.

وقد كانت عناوين من كتب في هذا المجال تحمل كلمة "علم" للفت النظر والانتباه، ولتوجيه الأذهان إلى هذه المنهجية العلمية. نذكر مثلا: علم الأسلوب لصلاح فضل، "مدخل إلى علم الأسلوب واللغة والإبداع" و "مبادئ علم الأسلوب العربي" و "البلاغة العربية وعلم الأسلوب" لشكري عياد.

ومن الرافضين لعلمية الأسلوبية **كمال أبو ديب**، الذي يدعو إلى نزع العلمية من الأسلوبية، معتبرا أن القول بعلمية الأسلوبية، ومحاولة اكتشاف الخصائص الفردية في كل كيان لغوي يشكلان أمرا يصعب التوحيد بينهما. ويحدد كمال أبو ديب غاية العلم بسعيه إلى اكتشاف سلسلة من القوانين التي تحكم المادة موضوع العلم.

كذلك يقول **جوزيف ميشال**: (ولا تصبح الأسلوبية علما لاقتباسها من علوم أخرى كالألسنة والإحصائية). نرد عليه بالقول إن مسيرة التجارب العلمية، وطبيعة تكوّن العلوم تنفي ذلك، فعلم الفيزياء علمٌ مستقل غير أنه يستفيد من علم الرياضيات ويعتمد عليه، وينهل من علم الكيمياء والأحياء كذلك. وعليه لا مانع للأسلوبية من الاستفادة من علم الأصوات ودراسة الألفاظ والنحو المعياري والنحو التاريخي، بل إنه يستعين كذلك بعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الجمال والبلاغة الجديدة.

فليس على دارس الأسلوب أن يأخذ موقفا معياريا من هذه العلوم المجاورة، بل عليه أن يأخذ منها ما يناسب مهامه فيما يتعلق بدراسة الأساليب وعلى العموم صار ما يسمى بتداخل العلوم "interdisciplinarité" حقيقة ثابتة وملموسة، خاصة في مجال الدراسات اللغوية.

والأسلوبية عند **غريماس وكورتيس** ليست إلا (حقلا من الأبحاث ينضوي تحت التقليد البلاغي، ولكونها استندت تارة إلى اللسانيات، وطورا إلى الدراسات الأدبية، فإن الأسلوبية لن تنجح في أن تُنظم نفسها إلى داخل علمٍ مستقل).

رغم ما قدمه الباحثان **غريماس وكورتيس** في مجال الدراسات الأدبية والسيميوطيقية إلا أن نفي العلمية عن الأسلوبية لا يستند إلى دليل علمي مقنع، فالأسلوبية استفادت من الحقول المعرفية، وبخاصة من اللسانيات، ولكنها استطاعت أن تحدّد شروط استقلالها علماً قائماً بذاته لدراسة المتغيرات اللسانية إزاء المعيار.

ثانيا: شمولية الأسلوبية:

يتسع مجال الأسلوبية وفائدتها لتدرس الخطاب الأدبي من النواحي كلها دون أن تهمل شيئا من متعلقاته، دراسته من حيث مستويات التحليل اللساني: النحوي والصرفي والصوتي والمعجمي وغيرها، ومن حيث تركيب الخطاب اللغوي جميعه، وتحليله، في مستويات متنوعة: الصوت والكلمة والجملة والفقرة والنص

والخطاب. وربما يكون هذا الشمول هو نفسه الذي أدى في النهاية إلى تنحية البلاغة جانبا لتصبح جزءا صغيرا لكنه مهم في سياق الأسلوبية العام، فقصور البلاغة وجمودها وعدم تجاوزها بعض الإشكالات المعرفية أتاح للأسلوبية أن تكون البديل، إذ لم يتبين للبلاغة بالضرورة دراسة الهيكل البنائي للعمل الأدبي، وكان ذلك تمهيدا لحلول الأسلوبية في مجال الإبداع بديلا يحاول تجاوز الدراسة الجزئية القديمة، وإقامة بناء عملي يبعد عن الشكلية البلاغية، والمصطلحات البلاغية التي أرهقت النصوص وغطّت على قيمها الجمالية.

وبهاتين الميزتين المهمتين قامت الأسلوبية علما ألسنيا حديثا، ولما استقرت قواعده ومناهجه ضمَّ البلاغة في لوائه، وعدّها أداة مهمة، حتى صارت الأسلوبية- بتعبير **صلاح فضل** (بلاغة حديثة ذاتُ شكلٍ مضاعف أو مزدوج: إذ هي علم التعبير، وهي نقد الأساليب الفردية، ومن ثمة فهي فنٌ للتعبير الأدبي وقاعدة في الوقت نفسه، وهي أيضا أداة نقدية تُستخدم في تقويم فن كبار الكُتاب).

ويشير هذا إلى أن الأسلوبية لا تعني القطيعة الكاملة مع التراث البلاغي، فأسلوبية التعبير عند **شارل بالي** مثلا تتبع من البلاغة القديمة، وإن كانت تستخدم وسائل تحليلية حديثة، كما أن كثيرا من البحوث التي قدمتها البلاغة للصور والأشكال التعبيرية مازالت مصدرا جديرا بأن يؤخذ بالاعتبار. كما نجد جملة من الملاحظات والتعريفات لا يمكن لأي باحث أسلوبي تجاوزها أو إهمالها، وقد حافظ جاكبسون على العديد من المصطلحات والمفاهيم من التراث البلاغي القديم كالتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية، ليفسرها في ضوء مبادئ علم اللغة الحديث، ويوضح كيفية توظيفها الفني في الأدب، الأمر الطي يجعل المادة التصنيفية الهائلة التي تركها الأقدمون صالحة للاستعمال لزمن طويل.

مراجع المحاضرة:

- صلاح فضل : علم الأسلوب.
- احمد درويش : دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث.
- عبد السلام المسدي : الأسلوب والاسلوبية.
- محاضرات الاسلوبية : أ. قطاف.